مداخل العربية إلى عصر العولمة

بقلم
د/ عادل محلو
قسم اللغة العربية وآدابها ـ معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي بالوادي

ملخص

يعرض هذا المقال المداخل الثلاث التي تمكن اللغة العربية من مواكبة عصر العولمة: المدخل التعليمي الذي يكرس الخطاب العلمي والمدخل الأدبي المرتبط بالأجيال الجديدة بجمال الأدب.

أما الثالث فمدخل اقتصادي واجتماعي يقدم ما يحيط بالعربية من إمكانيات تتيح لها أسواق ثقافية جديدة.

Résumé

Cet essai est une exposition de trois entrées principales qui donnent à la langue arabe les potentiels d'accès à l'époque de la mondialisation:

L'entée didactique consacrant le discours scientifique, l'entée littéraire liant les différentes générations à l'esthétique de la littérature, et l'entée économique et sociale offrant à la langue arabe la potentialité lui permet d'accéder à de nouvelles marchés culturelles vastes

نتفق جميعا على الوضع المزري الذي وصلت إليه لغتنا العربية في هذا العصر، ونشهد يوميّا استمرار تراجعها وعدم قدرتها على مواكبة معطيات عصر العولمة. ولذلك تحاول هذه المداخلة معالجة ثلاثة مداخل أساسية يمكن أن توفّر للغة العربية نقاط تقاطع مع خصوصيات العصر، وهي:

- مدخل لساني ـ تعليمي.
- مدخل أدبي ـ تعليمي.
- مدخل اقتصادي.

ولن يُقتصر على المعالجة النظريّة بل تُقترَح حلول ونماذج عمليّة قابلة للتطبيق العمليّ قصد الخروج من دوائر التنظير المتتالية التي لا تتحوّل إلى فعل مُجْدٍ.

أوّلا ـ تحديد المفاهيم

1 ـ العولمة:

واحدة من أهم وأكثر الألفاظ دورانا على الألسن ورنينا في القلوب وحتى العقول في عصرنا هذا. والذي يهمّنا في هذا المفهوم هو التفرقة بين تصوّرين له:

- الأوّل:العولمة باعتبارها مسار "أمْرَكَةٍ" وفرض ثقافة ذات مواصفات خاصّة على الشعوب والحضارات الأخرى[1].
- الثاني:العولمة " فضاء ديمقراطيا لفعالية البشر...يعد بولادة عالم بديل وعولمة ذات ميول تحرّريّة تتمكّن الشراكة الإنسانية من خلالها من الحفاظ على تنوّعها الثقافي"[2].

والذي تتبنّاه هذه المداخلة هو الثاني لأنّ الأوّل تصوّر جزئي وغير دقيق؛ إذ إنّ الحديث عن الأمركة وفرضها على شعوب وحضارات أعرق وأغنى وجدانا منافٍ لسيرورة البشريّة وقوانين التطوّر في المجتمعات، فضلا على أنّ ما يسمّى بالأمركة يواجه مقاومة فطريّة وطبيعيّة في أمريكا نفسها وفي محيطها الأقرب عبر المكوّنات السوداء والإسبانيّة للمجتمع هناك، وكذلك عبر شعوب ذات حضارات أعرق في أمريكا اللاتينيّة[3].

إنّ التصوّر الثاني يتيح مجالا أكثر عقلانيّة، ويبعد ذهنيّة المؤامرة والوهن الذاتيّ الداخلي الذي يسلبنا وجودنا ويقزّمنا أمام أنفسنا ويدفعنا نحو الشعاراتية الفارغة والصراع العاطفيّ الدونكيشوتيّ.

2 ـ اللغة العربيّة وتحدّيات العولمة:

لن أتحدث هنا عن مواجهة العولمة لأنّ في ذلك ضرب من الخرافة ولون من الهروب نحو الأمام. ما يتمّ تناوله هنا هو طبيعة تفاعل اللغة العربيّة مع معطيات عصر العولمة الأبرز وهي:

- مركزيّة التكنولوجيا معرفيّا.
- مركزيّة السوق الحرّة اقتصاديا.
- مركزيّة مجتمع المعلومات تواصليّا.

إنّ اللغة العربيّة تحسّ بوطأة التغيّرات، وتشعر بانسحابها وضمورها لسببين أساسين أحدهما ذاتي والآخر موضوعيّ:

• السبب الذاتي: هو أنها ظلّت ـ تقريبا ـ كما هي في نموذجيّتها ونمطيّتها منذ قرون عديدة مُنْزوية تكرّر نفسها وتجترّ ذاتها " ...ولـم تستيقظ إلاّ في عصر التلفاز والرادار والصواريخ العابرة للقارات..."(4).

• السبب الموضوعي: وهو أن طبيعة اللغة العربيّة الثريّة والتي مرّت بطور حضاري مزدهر لعدّة قرون يجعلها تحسّ أكثر من اللغات الأخرى ذات الرصيد الحضاريّ الأقلّ بصعوبة التحدّي ووطأة التخلّف عن ركب العولمة(5)؛ وتشاركها في هذا الموقف لغات أخرى قليلة كالصينيّة والهندية الفارسيّة.

ومن تفاعل واندماج هذين السببين يتأتّى هذا الاهتمام البالغ بوضع اللغة العربية في عصر العولمة، ومنهما يتجذّر لدى الناطقين بها ومحبّيها من الآخرين ذلك الأسى العميق الذي ظلّت تتردّدُ أصداؤه في الشعر الحديث منذ أمد بعيد كما في قصيدة حافظ إبراهيم الشهيرة. ولكن ما يؤسف له هو أن أكثر المعالجات تتمّ في ضوء الإيديولوجيا وأسْر الشعاراتيّة ونفق نظريّة المؤامرة الذي لا يفضي إلا إلى الدور ـ كما يقول المناطقة ـ أو إلى تيهٍ كتيه بني إسرائيل.

وبغية معالجة علميّة محكمة وتناول لسانيّ تتجّه هذه المداخلة نحو مداخل ثلاث تبدو الأنسب لاندراج العربيّة في عصر العولمة والاستفادة من منجزاته المختلفة.

ثانيا ـ المدخل الأوّل: اللساني ـ التعليمي

لقد شكّلت العلوم الإنسانيّة ـ ولأمد طويل ـ نواة الحضارات وأمسكت بدفّتها؛ فمن الفلسفة عند اليونان إلى التشريع عند الرومان، فالشعر والبيان عن العرب، ثمّ الرسم والفنون التشكيليّة في عصر النهضة الأوروبية. وهاهي الأمور تتغيّر جذريا في عصر العولمة حيث احتلّت العلوم التقنية نواة الحضارة المعاصرة وصارت تلك المعارف والعلوم الإنسانيّة تبعا لها دائرة في فلكها.

ومن هذا المنطلق صار لزاما على المجتمع العربيّ أن يُكسب أبناءه لغة علميّة تمكّنه من مواكبة العصر بلسانه وأسلوبه؛ كيلا يفشل فينزوي أو ينقم على مجتمعه وعصره فيتحوّل إلى فرد هامشيّ سلبيّ ومنحرف أو إلى عامل هدم وفوضى وإرهاب .

ومن المتعارف عليه بين المتخصّصين أنّ "أيّ انحدار في اللغة إنّما ينمّ عن انحدار في الفكر"(6)، والعكس أيضا صحيح " فاتّساع ملكة الفهم وتطوّر القدرة على الإدراك لهما ارتباط وثيق بالنموّ الغويّ"(7)؛ وما ذلك إلاّ لأنّ اللغة ـ كما يقول هايدغر ـ منزل

الكائن البشريّ[8]، فكيف تتأقلم أو تعيش في هذا المنزل، الذي لا منزل لك سواه، إذا لم تتقن طريقته وتتّبع سبيله، والطريق والسبيل الآن هو:اللغة العلمية.

وضمن هذا التأطير النظريّ سيتمّ تناول تطبيقيّ لكتاب اللغة العربية المدرسيّ للسنة الأولى متوسّط الذي ظهر ضمن المناهج التعليميّة الوطنيّة الجديدة في الجزائر، وذلك قصد الخروج من الكلام النظريّ البحت إلى الواقع العمليّ بحثا عن مقدار علميّة اللغة في نصوصه ومدى استيفائها شروط العصر وانسجامها ومحيطها المعرفيّ في العالم الآن.

1 ـ **سمات اللغة العربية العلمية:**

اجتهد الدارسون العرب في تحديد سمات اللغة العربيّة التي يمكن أن نطلق عليها:" لغة علميّة"، واعرض هنا جهدين؛ الأوّل للدكتور عبد الصبور شاهين والثاني للدكتور إنطوان صياح.

أ ـ عند د. شاهين:

يضع في كتابه:" العربية لغة العلوم والتقنية" ضوابط لما يسمّيه عربيّة الأعمال ولغة الرسائل و التقريرات العلميّة؛ " حيث اوجَبَ أن تتوفّر في هذه اللغة المواصفات التالية:

- استخدام الألفاظ الحسيّة دون التجريديّة.
- تفضيل الجمل القصيرة دون الطويلة.
- لا يستخدم من الألفاظ غير الضروريّ.
- تفضيل المأنوس من الألفاظ.
- استعمال الأفعال المتعدّية.
- عدم الإسراف في الصفات.
- تفضيل البناء للمعلوم على البناء للمجهول.
- ألاّ يُستعمَلَ من الألفاظ ما كان ذا معنييْن لأنّه غامض الدلالة"[9].

ب ـ عند د. صياح:

أما د.صياح فقد حدّد في كتابه:" دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها" سمات اللغة العلميّة ضمن معايير أربعة كما يلي:

- الوضوح: عدم استعمال اللغة بشكل مبالغ وضبابيّ الدلالة.
- الإيجاز: ويعني التوازي بين الشكل اللغوي الذي يعبّر عن الفكرة والفكرة نفسها.
- الدقّة: وهي كما يرى محاولة التفتيش عن المادة اللغويّة الأدقّ في التعبير عن الفكرة.

- التوثيق: التعامل مع المراجع بالطريقة العلميّة[10].

ويبدو أن الاجتهاد الثاني أفضل وأصلح للاستخدام هنا لأنّه وُضع على أساس التخطيط لدراسة طرائق تعليم اللغة العربيّة. إذن هذه السمات التي يذكرها د.صياح هي التي سيُبحثُ مقدار توفّرها في النصوص ذات الموضوعات العلميّة في كتاب النصوص للسنة الأولى متوسّط، ويتمّ تحديد ذلك عبر تجلّيات تلك السمات بمعاييرها الأربعة من خلال:

- نوعيّة الأسلوب.
- مميّزات الجملة.
- الثراء المعجميّ.

2 ـ **عرض المدوّنة:**

أصدرت وزارة التربية الوطنيّة كتابا جديدا في النصوص للسنة الأولى متوسّط ضمن عدّة إصلاحات، وقد تمّ ذلك وسط ضوضاء وجلبة كثيرة ونقاش حادّ حولها. ويضمّ هذا الكتاب نصوصا متنوّعة انتقيت منها النصوص ذات الموضوعات العلميّة وعددها 14 نصّا لتكون مدوّنة هذا البحث وهي التالية[11]:

الرقم	عنوان النصّ
01	التهاب اللوزتين
02	أنثى التمساح
03	تكنولوجيا المعلومات
04	الكوكب الأزرق
05	المجرّات
06	لماذا اختفت الديناصورات
07	أسرار الحياة
08	الذباب
09	المقاومة
10	البداوة والحضارة
11	العناصر الأساسية
12	التدخين السبيّ
13	ملوّثات الهواء
14	الصحافة

جدول 1: نصوص المدوّنة

وتمتاز هذه النصوص بالتنوّع حيث إنّ بعضها مترجم، كما تتميّز باختلاف المجلات المعرفيّة من: طبّ وبيئة، وفيزياء وفلك، وتاريخ بشريّ... وتشكّل هذه الكتلة من النصوص مدوّنة هذه المداخلة.

3 ـ نوعيّة الأسلوب:

درج الدارسون على استعمال نظريّة بوزيمان في تحديدهم لنوعيّة الأسلوب ،في نصّ أو كتلة نصوص، من حيث درجة ديناميكيّته التي تعدّ من أبرز سمات اللغة العلميّة. ويتمّ ذلك باعتبار حاصل قسمة عدد الكلمات الدالة على الفعل على عدد الكلمات الدالة على الأسماء والصفات، ونعتبر الأسلوب علميّا إذا تجاوز حاصل القسمة:"1"، أما إذا كان أدنى من ذلك فإنّ الأسلوب أدبي وصفيّ ضئيل الديناميكيّة[12].

ويقودنا تطبيق هذا المعيار إلى تسجيل عدم ديناميكيّة الأسلوب في كلّ نصوص المدوّنة. لكنّنا حين نأخذ في عين الاعتبار أن هذه النصوص تمّ انتقاؤها لكتاب اللغة العربيّة لا لكتاب علميّ بحت فإنّنا نفهم مباشرة احتواءها على قدر من الفنيّة؛ أي إنّ وظيفة اللغة هنا لا تكون تبليغيّة محضة بل تنازعها الوظيفة الجماليّة وتخفّف من هيمنتها على أسلوب النص.

وهكذا نتفهّم منذ البداية وجود كلّ النصوص دون مستوى الحاصل الفارق:"1" الذي يحدّد ديناميكيّة الأسلوب العلميّ البحت. وقد جاءت النتائج كما يلي:

	عنوان النصّ	نسبة نوعيّة الأسلوب	الرتبة
01	التهاب اللوزتين	0.64	01
02	أنثى التمساح	0.45	02
03	تكنولوجيا المعلومات	0.38	03
04	الكوكب الأزرق	0.37	04
05	المجرّات	0.35	05
06	لماذا اختفت الديناصورات	0.34	06
07	أسرار الحياة	0.30	07
08	الذباب	0.27	08
09	المقاومة	0.25	09

10	البداوة والحضارة	0.25	09
11	العناصر الأساسية	0.23	10
12	التدخين السبيّ	0.20	11
13	ملوّثات الهواء	0.20	11
14	الصحافة	0.14	12

جدول 2: نتائج نوعيّة الأسلوب.

وعلى أساس الاعتبار السابق المؤسّس على طبيعة توزّع وظائف اللغة في هذه المدوّنة فإن نتائج الجدول تفرزها إلى قسمين:

- نصوص ذات أسلوب علميّ: وهي تلك التي تجاوز الحاصل فيها:0.30؛ أي التي حقّقت أعلى من متوسّط نوعيّة الأسلوب في كلّ المدوّنة والذي كان:0.30 تقريبا. ويمثّل هذا القسم النصوص السبعة الأولى.
- نصوص ذات أسلوب غير علميّ: ويضمّ هذا القسم بقيّة النصوص الأخرى من المدوّنة التي لم تستوف شرط تجاوز نسبة:0.30.

وأهمّ النتائج والملاحظات التي نستخلصها من هذه النسب المعروضة في الجدول:2 هي ما يلي:

- إنّ المتوسّط العام لنوعيّة الأسلوب:"0.30" مُرْضٍ للغاية؛ لأننا إذا ما قابلناه بذلك الذي تسجّله ثلاث فقرات ، وهي مأخوذة عشوائيا من كتاب ومقال مترجمين يتميّزان بالعلميّة والتخصّص والحداثة، لوجدناه متوسّطا مناسبا للغاية. وهذه النصوص الثلاثة الشواهد المقصودة هي:

ـ رؤى مستقبليّة: كيف سيغيّر العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ميتشيو كاكو،تر: د. سعد الدين خرفان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 212، 2001 ، ص:58 (فقرة بعنوان: كشف تركيب البروتين)، و ص:384 ـ 385 (فقرة بعنوان:المرّيخ؛ الصحراء المتجمّدة).

ـ تخزين الغازات، هاورد هرتزوج ـ بلدور إلياسون ـ أولاف كارستاد، تر: رشيد غفران، مجلّة الثقافة العالميّة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 105، 2001، ص:164 (فقرة بعنوان: ما الذي يعنيه تخزين الكربون).

ففي هذه النصوص الشواهد الثلاثة تتراوح نسبة نوعيّة الأسلوب بين: 0.23 و:0.51، وهو ما يُنتج متوسّطا لا يزيد عن :0.30. إنّ هذه المقابلة بين متوسّطيْ نوعيّة الأسلوب تفصح لنا عن مدى نجاح هذه المدوّنة من الكتاب المدرسيّ في

تقديم أسلوب علميّ مناسب لمضامينها ممّا يضمن لها قدرا هامّا من النجاح في وظيفتها التبليغيّة، ويحقّق بذلك الهدف الكبير وهو إكساب المتلقّين لغة علميّة تنعكس حتما على طرائق تفكيرهم ونوعيّته.

• ظهر من خلال فحص توثيق نصوص المدوّنة أنّ النصوص المترجمة تتوفّر على نوعيّة الأسلوب المطلوبة ـ عدا نصّ واحد فقط منها ـ وهي بذلك تتفوّق على النصوص العربيّة. ممّا يشير إلى إدراك الكتّاب الغربيين لطبيعة الأسلوب العلميّ المطلوب في مثل هذه النصوص لتحقيق الهدفين المذكورين في نهاية الفقرة السابقة.

• بالنظر إلى مصادر قسمي نصوص المدوّنة نجد غلبة للكتب المتخصّصة في قسم النصوص ذات الأسلوب العلميّ (مثلا النصوص: 1، 3 ، 7، 5 في الجدول 2) مقابل غلبة نصوص المجلات والموسوعات العامّة على القسم الثاني؛ أي النصوص ذات الأسلوب غير العلمي (مثلا النصوص: 8، 12، 13، 14 في الجدول 2). وفي ذلك بيان على تدنّي مستوى علميّة الأسلوب في المجلات الثقافية والموسوعات العامّة لأنّها تضع في مخطّطها متلقيّا غير ملمّ بمبادئ المعرفة المختصّة الدقيقة وتهدف إلى تقديم المعلومات بأسلوب أدبيّ مريح لا بأسلوب علميّ صارم.

4 ـ مميّزات الجملة:

أ ـ المفردات:

تتباين نصوص المدوّنة تباينا كبيرا من حيث متوسّط عدد المفردات في الجملة الواحدة؛ إذ تتراوح بين: 35 م/ج(*) كحدّ أقصى و: 9.77 م/ج كحدّ أدنى. وفي هذه النقطة بالذات لا يمكننا الفصل بأفضليّة طول الجملة أو قصرها كواحدة من تمظهرات سمات اللغة العلمية؛ لأنّ الإيجاز ـ باعتباره ميزة للأسلوب العلميّ ـ لا يتعلّق حتما بهذا المعيار الشكلي، فالمضمون قد يمكن أن يشفع لطول الجملة إذا ما قدّمتْ كمّا من المعلومات يناسب طولها.

ولقد لا حظ ميلر (Miller) عدم دقّة الربط بين الإيجاز وطول الجملة كما يذكر د. حنفي بن عيسى في كتابه:" محاضرات في علم النفس اللغوي"[13] الذي يسهبُ فيه في عرض ما يراه أسبابا لطول الجملة عند بعض الكتّاب[14].

لكن ما ذكر آنفا لا ينفي أن الجمل القصيرة أسهل فهما، وبالتالي أسرع تبليغا من الطويلة. ولربّما كانت الجمل القصيرة أداة ممتازة لتقديم أسلوب علميّ أفضل؛

إذ تسمح بتنظيم المعلومات وإبراز كلّ واحدة منها بشكل مناسب لما يراد تبليغه، كما توحي بالدقّة والصرامة وتحديد الهدف والقصد التي يتطلّبها المنهج العلميّ في التعبير عن قضاياه[15].

ولا يتعلّق الأمر هنا بعمليّة اكتساب اللغة العلميّة فحسب بل يتعدّاه إلى استرجاعها الذي يرتبط وثيقا بتوظيفها فيما بعد؛ فالدراسات المتخصّصة تؤكّد أنّ الأطفال متوسّطي الكفاءة والمستوى ـ وهم الأغلبيّة ـ يتّخذون الكلمة وحدة قاعديّة للتمثّل الجملة[16]، ممّا يعني أنّهم أقدر على استرجاع الجمل بشكل أفضل كلّما كانت أقصر. وهو ما يؤدّي مباشرة إلى أن اللغة التي ستنطبع في أذهانهم وترسخ في عقولهم هي لغة النصوص الأقصر جملا؛ أي في نهاية المطاف هي اللغة الحاضرة عند محاولتهم التعبير عن أفكارهم.

ب ـ الأدوات:

ذلك بالنسبة لعدد المفردات، ويبقى أن نتطرّق إلى مكوّن آخر مهمّ وهو الأدوات لأنّها تمثّل مفاصل اللغة التي تمنحها القدرة على الحركة وتكسبها مرونة وديناميكيّة وقدرة على الاقتصاد اللغويّ تنسجم مع سمات اللغة العلميّة.

هنا أيضا تختلف النصوص إذ يتراوح متوسّط المفردات المتعلّقة بالأداة الواحدة بين: 3.96 م/أ(**) كحدّ أقصى و: 1.62 م/أ كحدّ أدنى. ويبرز من جهة أخرى أن النصوص التي قدّمت أسلوبا ذا نوعيّة علميّة أعلى سجّلت متوسّطا أعلى من النصوص الأخرى تقريبا.

فإذا كان المتوسّط العام في المدوّنة كلّها: 2.07 م/أ فإنّ أربعة من نصوص الصنف الأوّل تجاوزته وهي:

- تكنولوجيا المعلومات: 3.96 م/أ.
- المجرّات: 2.51 م/أ.
- أسرار الحياة: 2.29 م/أ.
- لماذا اختفت الديناصورات: 2.24 م/أ.

بينما لم يتجاوز المتوسّط العام سوى نصّ وحيد فقط من نصوص القسم الثاني الذي لم يقدّم أسلوبا علميّا وهو نص:

- ملوّثات الهواء : 2.09 أ/م.

وكما سلف فإن هذا الارتباط بين وفرة الأدوات في الجملة وعلميّة اللغة عائد إلى علاقة الأدوات بحيويّة النصّ وحركيّته التي تتناسب ووفرة الأفعال كما سُجّل في أسلوب هذه النصوص[17].

5 ـ **الثراء المعجميّ:**

اعتادت الدراسات أن تقيّم ثراء نصّ أو كتلة من النصوص على أساس معيار شهير وهو: TTR (= Type Token Ratio) الذي يشير إلى أنّ ثراء المعجم هو حاصل قسمة عدد الكلمات المختلفة على تواتر الكلمات المستعملة[18]، فكلّما ارتفع هذا الحاصل كان النصّ أثرى. ويذكر د. حنفي بن عيسى ثلاث طرق أخرى يُستعمل بها هذا المعيار لكنّها طبعا تؤدّي إلى النتيجة نفسها[19].

وبتطبيق هذا المعيار على المدوّنة نلحظ تراح ثرائها المعجميّ بين: 0.90 و: 0.60؛ أي بمتوسّط قدره: 0.71 . وهو متوسّط مُرضٍ جدّا لأنّنا إذا قابلناه بذلك المتحقّق من خلال النصوص الشواهد الثلاثة سنجده مقاربا جدا:

	نصوص المدوّنة	النصوص الشواهد
متوسّط الثراء المعجمي	0.71	0.72

جدول 3: الثراء المعجمي بين المدوّنة والنصوص الشواهد

ويظهر جليّا أن الفارق بينهما غير ذي بال؛ بل يبدو في صالح المدوّنة ممّا يشير إلى توفّرها على لغة علميّة تساعدها على ضمان جزء كبير من قدرتها التبليغيّة كما خُطّط لها.

ويبدو من جهة أخرى ألاّ علاقة وطيدة بين الثراء المعجميّ ونوعيّة الأسلوب لأنّ التفاوت بين ثراء نصوص القسمين لا يتعدّى: 0.01. ولعلّ ذلك مُبرّر لأنّ النص الأكثر علمية لا يعني بالضرورة ثراءه بالكلمات المتنوّعة، فلربّما بلغ هذا الثراء المعجميّ حدّا مبالغا فيه فانقلب زخرفة واستعراضا غير مناسبيْن للّغة العلميّة المتوخّاة في مثل هذه النصوص فيُصاب النصّ عندها بالاختناق تحت وطأة كثرة المفردات المختلفة ويفقد قدرته على أداء وظيفته التبليغيّة.

إنّ ما سبق تناوله لا يمثّل الثراء المعجميّ المثمر في النصوص العلميّة؛ لأنّها نصوص لا تهدف إلى تعريف المتلقّي أكبر عدد من المفردات اللغويّة العامة بل المهمّ فيها مقدار الألفاظ والمصطلحات المتخصّصة التي تقدّم من خلالها.

وبفحص المدوّنة نجد أنها تمنح المتلقّي 106 لفظا ومصطلحا علميّا؛ أي بمعدّل: 08.51 % من مجموع المفردات، وهو مقدار مُرْضٍ للغاية وقادر على تبليغ المعارف وإثراء المعجم العلميّ للفئة المستهدفة بشكل فعّال؛ ومن ثمّة تكوين خلفيّة علميّة لذهنيّتها.

وإذا نظرنا إلى قسميْ النصوص حسب نوعيّة الأسلوب وجدنا تفاوتا بينهما في الثراء بالمصطلحات والألفاظ العلميّة كالآتي:

	نصوص ذات الأسلوب العلميّ	النصوص ذات الأسلوب غير العلميّ
نسبة المفردات العلميّة	% 08.66	% 08.36

جدول 4: نسبة المفردات العلميّة بين قسميْ نصوص المدوّنة

وهذه النتيجة إشارة واضحة إلى أنّ علاقة الثراء بالمصطلحات والألفاظ العلميّة مع طبيعة الأسلوب العلميّ أوثق من علاقة الثراء المعجميّ العام.

ومن جهة أخرى تتّضح بجلاء قوّة النصوص المترجمة وأفضليّتها لأنّها تسجّل تفوّقا على النصوص العربيّة كما يُبرز الجدول:

	النصوص المترجمة	النصوص العربيّة
نسبة المفردات العلميّة	% 09.39	% 08.03

جدول 5: نسبة المفردات العلميّة بين النصوص المترجمة والعربيّة

وهذا يعيدنا إلى التأسيس النظريّ للمداخلة المنطلق من أنّ لغة العصر هي اللغة العلميّة وهي التي يجب أن نكسبها شبابنا ليواكب العولمة ويكون طرفا فاعلا فيها؛ فالكتّاب الغربيّون من خلال النصوص المترجمة أبدوا فهما ووعيا وإدراكا لطبيعة الوظيفة التي تؤدّيها هذه اللغة هنا ألا وهي: " التبليغ"، وذلك في مقابل النصوص العربيّة التي تسجّل حضورا ملموسا للوظيفة الجماليّة في النصوص العربيّة ممّا يشينها ويقلّل من قدرتها على التواصل بلغة العصر العلميّة.

عبر العناصر السابقة تمّ تناول المدخل الأوّل الذي يعالج ضرورة تعليم الأجيال الجديدة لغة عصر العولمة؛ أي اللغة العلميّة التي ستُهم ولا شكّ في إكسابه تفكيرا منسجما وعصرهُ فلا يفرّ منه إلى الأمام مفترضا صناعة عالم جديد عبر الفوضى ولا إلى الخلف منسحبا في عوالم الانحراف أو فضاءات التديّن السلبيّ.

ومن خلال كتاب النصوص للسنة الأولى متوسّط الجديد ظهر جليّا وجود استجابة ـ ولو نسبيّة وعلى غير تخطيط مسبق ـ لهذا المطلب الملحّ في منظومتنا

التعليميّة وهو مؤشر إيجابيّ يجب التقاطه وتنميته واستثماره من أجل أجيال تدخل عصر العولمة بلغتها العربيّة وبلغته العلميّة.

ثالثا ـ المدخل الثاني: الأدبي ـ التعليمي

لعلّ من أهمّ دوافع عزوف الشباب عن الأدب العربيّ هو تصوّرهم أنّ الدب والاشتغال به ميزة للعالم المتخلّف، وأنّ المم المتقدّمة لا تجد وقتا لمثل هذا الكلام الشعري والفنيّ الفارغ.

ومن أجل كسر هذا التصوّر وتوضيح أنّ الأمم إنما تتقدّم بالأفكار والإنتاج الأدبي كتقدّمها بمنجزات العلم التكنولوجي الذي يمثّل المركزيّة المعرفية لظاهرة العولمة وعصرها، من أجل ذلك يُقترحُ هنا تناول للكتاب المدرسيّ في النصوص للسنة ثانوي بحثا عن حضور النصّ الأدبي المعاصر المنتج في الأمم المتقدّمة تكنولوجيا.

1 ـ عرض المدوّنة:

يشتمل كتاب النصوص للسنة الثالثة ثانوي للشعب العلميّة[20] ـ كمثال ـ على نصّوص أدبية حديثة ومعاصرة من مختلف الأجناس، ولكن الملاحظ هو غياب أيّ نصّ من الآداب الأجنبيّة وهو ما يثير التساؤل حقّا:

- لماذا لا يتضمّن برنامج سنويّ ولو نصّا واحدا من الآداب الغربيّة والأجنبيّة رغم أنّنا في عصر العولمة؟

إنّ افتقار البرامج لذلك النوع من النصوص جعل كثيرا من الطلبة يعتقد أنّ الأدب، والشعر خصوصا، هي ميزة للعربيّة وأنّ الأمم الأخرى لا تكاد تهتمّ به. والحقيقة إنّه بإمكاننا أن نجعل هؤلاء الطلبة يفخرون بانتمائهم إلى أمّة ذات رصيد أدبيّ وشعريّ ضخم إذا ما أدرجنا نصوصا غربيّة معاصرة لأدباء من تلك الدول والثقافات التي تسيطر في عصر العولمة هذا. إنّهم سيرون آنذاك أنّ الأمم تطير إلى علياء التقدّم والحضارة بجناحين: العلوم الإنسانيّة والعلوم التكنولوجيّة. وهنا كما في المدخل السابق أقترح نماذج من نصوص مترجمة يمكن أن تكون مثالا يُحتذى في المناهج الدراسيّة.

2 ـ نماذج مقترحة:

إنّه من الممكن جدّا تضمين هذه البرامج نصوصا لكتّاب أمريكيين ويابانيين وغيرهم من كتّاب الدول المتقدّمة، مع الحرص على أن تكون غير متعارضة مع القيم الاجتماعية ومن نماذج ذلك:

أ ـ من الشعر الفرنسي:

واخترت هنا نموذجا جميلا من شعر "جان فرانسوا ماتيه" وهو قصيدته: " خاسر" التي يقول فيها:

ليته يقلب أوراقه ...
ليته يقلب كفيه ...
لأجل أن يرى ...
إلى أي حد هو .... ولد ليخسر ...

* * *

أوراق بيض ...أكف فارغة ...
ليته يستيقظ .. ليرى ...
بأنه الوحيد الذي ...
لن يملك سماء... تحلق فيها أحلامه ...(21).

ب ـ من الشعر الأمريكي:

ومن الشعر الأمريكيّ الثريّ هذا النموذج للشاعر روبرت بلاي(Robert Bly)

في مسيرة ضد حرب فيتنام

(واشنطن ـ 27 نوفمبر 65)

الصحف ترتفع عاليا في الفضاء فوق ماريلاند
نسير معها، ملفوفين بمعاطفنا
وستراتنا في شمس تشرين المتأخرة
عندما نظرت الى الاسفلى، رأيت الأقدام تتحرك
بهدوء، بمرح،
كما لو أنها فصلت عن أجسادها
ولكن ثمة ما يتحرك في مكان ما من الظلام
تماما بالقرب
من أطراف أعيننا: سفينة
مغطاة بالمدافع الرشاشة
تتحرك تحت الأشجار.
...
على الأرض
نحن نتوق لتحقير أنفسنا
لقد حملنا هذه الكأس من الظلام

وتقنا لصبها فوق رؤوسنا
نحن صنعنا الحرب
كرجل يجلد نفسه[22].

إنّ النموذجين المقدّمين أعلاه مثال صغير جدّا عن النصوص الجيّدة التي يمكن استغلالها من الأدب الغربي؛ فالأوّل يتحدّث عن الشاب الذي يحلم أحلام اليقظة ويصوّره بأنّه الخاسر الأكبر، أما الثاني فيتحدّث عن الحرب وفظاعتها.

ومن خلال مثل هذا النماذج لشعراء معاصرين من العالم الغربيّ يمكن أنْ يتحقّق هدف حضاريّ من خلال التعليم؛ إذ يبعث في الطلبة والتلاميذ اهتماما بالأدب ويغيّر نظرتهم له ممّا يجعلهم يحافظون على اهتمامهم بالأدب العربيّ لأنّهم سيجدون في الأدب دافعا نحو التقدّم أو على الأقلّ أنّه لا يتعارض مع العولمة وعصرها.

رابعا ـ المدخل الثالث: الاقتصادي

كما أن التكنولوجيا تمثّل إحدى أهم سمات العولمة فإنّ السوق الحرّة هي الأخرى سمة أساس فيها ومركزيّة، ومن اجل إيصال العربيّة إلى مواكبة العولمة فلعينا أنْ نضمن لها رواجا في السوق العالميّ للّغات لتكتسب متكلّمين جددا من أقطار وأمم مختلفة، وليس ذلك بالأمر المستحيل لأنّ لغتنا تمتلك عددا هامّا من نقاط القوّة وعوامل الجذب التي تجعلها سلعة لغويّة مطلوبة.

1 ـ **عوامل الجذب في السوق اللغويّة العربيّة:**

أ ـ **العامل السياسي:**

بسبب الأزمات السياسية الأخيرة في العالم منذ الحادي عشر من سبتمبر زاد الالتفات إلى العالم العربيّ في محاولات كثيرة لفهمه والتعرّف على هؤلاء الناس من خلال السؤالين الشهيرين في أمريكا خصوصا والعالم الغربيّ عموما؛ وهما:

- عبارة بوش:" لماذا يكرهوننا؟!"[23] والتي سبق أن طرحها ايزنهاور بشكل أكثر تدقيقا حين قال معبّرا عن كراهيّة العرب لأمريكا بأنّها:" ليست نابعة من الحكومات ولكن من الشعب"[24].
- سؤال الباحثين والأكاديميين عن العرب:" لماذا يقاتلون بموتهم؟!"[25] الذي تصدّر كتاب ذهنيّة الإرهاب لـ: جان بودريار، جاك ديريدا، إد فوليامي، أمبريتو إيكو.

إنّ هذين السؤالين لم يضلاّ في الدائرة الضيّقة للسياسيين ورجال الفكر بل انتقلا بسبب أحداث سبتمبر إلى المواطن العاديّ فولّد ذلك اهتماما جديّا وواسعا

من اجل معرفة العرب. وهذه نقطة جذب مهمّة يمكن استغلالها لتسويق تعليم اللغة العربيّة للآخرين.

وتُعدّ الحروب التي خاضتها أمريكا وحلفاؤها نتيجة لتلك الأحداث عامل جذب ثانٍ حيث توجّه كثير من الجنود الأمريكيين في العراق نحو التعرّف على اللغة العربيّة؛ بل إنّ إدارة البنتاغون تبثّ إعلانات متكرّرة على الانترنت تبحث من خلالها عن مترجمين عرب لتوظيفهم.

ب ـ العامل الإنتاجي:

إنّ تركّز كثير من موارد الثروات المهمّة في العالم واحتياطياتها المعتبرة في العالم العربيّ، وعلى رأسها موارد الطاقة البترولية وأيضا الطاقة المتجدّدة؛ أي الطاقة الشمسيّة، والمعادن وغيرها، إنّ تركّز ذلك وغيره يمثّل عامل جذب هامّ دفع بالشركات والمستثمرين إلى البحث عن النشاط في هذا الفضاء.

وقد نتج عن ذلك حاجة ماسّة لدى تلك المؤسسات والشركات إلى ناطقين باللغة العربيّة للتعامل مع العمّال وبعض الهيئات والبنى الاجتماعية ـ خاصة المناطق ذات البنى التقليديّة ـ فخُلقت تبعا لذلك فرص سانحة لكثير من الأجانب للتعرّف على اللغة العربيّة وتعلّمها من أجل توفير فرص تواصل نفسيّ أفضل مع المستهدفين ممّا يحقّق لهم فرص ربح وأولوية استثمار أكبر في كثير من الحالات.

ومن جهة أخرى فإنّ توفّر فرص العمل ـ خصوصا في دول الخليج ـ يدفع بكثير من الأجانب إلى طلب تعلّم اللغة العربية، فعلى سبيل المثال يُسجّل إقبال شديد من الشباب في الهند وما جاورها على مدارس تعلّم اللغة العربيّة هناك في بلدانهم قصد الاستفادة من عامل تفضيليّ حين قصدهم دول الخليج للعمل[26].

جـ ـ العامل الاستهلاكيّ:

يشكّل العالم العربيّ سوقا معتبرة جدّا في الاستهلاك العالميّ بمختلف المستويات ولمختلف السلع. وهو ما جعل الشركات التي تسوّق سلعها في العالم العربيّ بحاجة إلى تعليم بعض موظّفيها اللغة العربية قصد ربط صلات اكبر بالمستهلك، ولفهم أعمق لنفسيّته.

وهذا العامل أكثر إدرارا للمتكلّمين الجدد من العامل السابق لأنّ تسويق السلع يحتاج إلى اقتراب أكثر من فئات المستهلكين جميعها، ويتطلّب في الوقت ذاته موظّفين أكثر من المشاريع الاستثماريّة التي قد يكون فيها أجنبيّ واحد او عدد قليل من الأجانب.

د ـ العامل السياحي:

يعتبر العالم العربيّ ،وبخاصة مصر والمغرب وسوريا واليمن، منطقة جذب سياحيّ هائل، وهو أمر مفيد جدّا للسوق اللغويّة العربية حيث يؤدي انبهار كثير من أولئك السيّاح إلى محاولتهم تعلّم اللغة العربيّة.

ويبدو أنّ هناك عاملا مهمّا في هذا المجال تتمّ الاستهانة به وتهميشه ألا وهو عامل السياحة الدينيّة؛ فكثير من الجانب يأتون إلى العالم العربيّ لزيارة المعالم المسيحيّة خصوصا ولو تمّ تفعيل الاهتمام بذلك لنشأ ارتباط وثيق بين كثير منهم باللغة العربيّة.

ويعدّ العامل التاريخيّ الاستعماريّ القديم هامّا أيضا؛ إذ إنّ كثيرا من الأبنية الرومانية تجتذب كثيرا الغربيين ـ والأوروبيين خصوصا ـ لأنّهم يحسّون بوجود علاقة حميميّة بينهم وبين ذلك العمران المماثل لما هو في بيئتهم.

2 ـ توظيف عوامل الجذب:

من الواضح جدّا أنّ فُرص جذب الآخرين لتعلّم اللغة العربيّة متوفّرة جدّا وهو ما يفيد على أصعدة عديدة:

أ ـ يمكن أنْ يُقدّم ذلك إمكانيات تطوير للغة العربية وإثرائها ومدخلا هامّا لها إلى عصر العولمة كواحدة من اللغات العالميّة الفاعلة.

ب ـ يشكّل ذلك استثمارا اقتصاديا كبيرا؛ حيث يفتح المجال أمام إنشاء مدارس تعليم اللغة العربيّة للأجانب، كما يفسح مجالا لحركة طباعة ونشر وتسويق وبرمجيات هائلة يمكن أن تسهم في استثمار الطاقات البشريّة وسدّ منافذ البطالة.

جـ ـ كما أنّ خلق رابط سيكولوجيّ بين عدد كبير من الغربيين سيجعلهم أكثر تفهّما لقضايانا؛ لأنّه " في النقطة التي يلتقي فيها الاقتصاد والسيكولوجيا توجد الإيديولوجيا"[27].

إنّ هذا الارتباط بالاقتصاد والاستفادة منه هو مدخل أساس ولا غنى عنه للغة العربية إلى عصر العولمة لأنّ القاعدة تقول:" كلّما تعلّم الناس لغة ما أصبحت مفيدة، وكلّما كانت اللغة مفيدة رغب الناس في تعلّمها"[28]؛ فهي إذن لن تتمكّن من مواكبة هذا العصر إلاّ بأدواته وبمراعاة مفاهيمه المركزيّة مادام متكلّموها ليسوا هم الذين يسطّرون مبادئ السير ولا هم الذين يرسمون منحاه.

إنّ المداخل الثلاث السابقة ليست وحدها التي تمنح اللغة العربية فرصة الدخول إلى عصر العولمة عنصرا فاعلا لا منفعلا ومؤثّرا لا متأثرا؛ لكنها عناصر ذات أولويّة.

فربط الأجيال التي تتعلّم في مدارسنا بلغة العصر العلميّة، وتعريفها بأهميّة الأدب في مسار الأمم وأنّه ليس رديف البداوة والتخلّف، وإبراز تفوّق الأمم المتقدّمة تكنولوجيا فيه، هذان الأمران هما خطوتان ملحّتان وضروريّتان لإنجاح التعليم نفسه ولربط المعلّمين بعصرهم من جهة وبآداب أمّتهم من جهة أخرى.

وأمّا العامل الاقتصادي فهو مدخل هامّ لجذب متكلّمين جدد للعربيّة، ولصناعة كتلة هامّة من المتعاملين بها في أنحاء العالم ممّا يُكسبها مكانة ويُسهّل اندماجها في المنظومة المعرفيّة والثقافيّة لعصر العولمة.

ـ الهوامش:

(1) ـ انظر: الآثار الثقافية للعولمة، د.كريم أبو حلاوة، عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،م 29، ع 3، 2001، ص:185.

(2) ـ السابق، الصفحة نفسها.

(3) ـ يُشار هنا إلى عودة اليساريين ـ بأشكالهم المختلفة ـ إلى الحكم في أمريكا اللاتينية كما في فنزويلا وبنما والبرازيل وغيرها.

(4) ـ اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، د.عبد الكريم خليفة، دار الفرقان، عمّان، ط5، 1997، ص:207.

(5) ـ انظر:المنهجيّة العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص:09.

(6) ـ اللغة والسلوك العلمي، د.محمد الطيب سعداني، مجلة الرواسي، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة، الجزائر، ع6، أكتوبر ـ نوفمبر 1992، ص:36.

(7) ـ الحصيلة اللغويّة، د. احمد محمد المعتوق، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 212، 1996، ص:161.

(8) ـ انظر: السابق، ص:35.

(9) ـ السابق، ص:139.

(10) ـ دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د. انطوان صياح، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص: 153 ـ 154.

(11) ـ للاطّلاع على هذه النصوص يرجع إلى: كتاب اللغة العربيّة للسنة الأولى متوسّط، وزارة التربية الوطنيّة، الجزائر. وللإشارة فإنّ هذا الكتاب المعتمد هو الذي صدر في بداية الإصلاحات ودارت حوله تلك المناقشات المتوتّرة والتي شابها من الايديولوجيا أكثر ممّا رافقها من النظر المتبصّر، وأما الآن فالكتاب المعتمد مختلف من حيث النصوص لكنّه سار على النمط ذاته وأكثر؛ حيث زاد عدد النصوص العلميّة.

(12) ـ انظر: دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د. انطوان صياح، ص:155.
(*) ـ م = مفردة. ج = جملة
(13) ـ انظر: محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط 5، 2003، ص:232.
(14) ـ انظر: السابق، ص:232 ـ 233.
(15) ـ إنّ هذا يذكّرنا بلغة القرآن المكيّ واختلافها عن نظيرتها في المدنيّ؛ فلأنّ المكيّ كان أكثر تركيزا على القصد الصارم والأفكار الحاسمة المتعلّقة بالعقيدة ونبذ الشرك استعمل آيات ـ ومن ثمّة جملا ـ قصيرة. ولمّا كان التركيز في الطرف الآخر على التفاصيل في شرح المعاملات وخصائص المجتمع استعمل آيات ـ ومن ثمّة جملا ـ أطول. في هذا الموضوع يراجع: دراسات في علوم القرآن، د. أمير عبد العزيز، دار الشهاب، باتنة، ط2، 1988، ص:60-61.
(16) ـ انظر: الذاكرة واللغة، كريستيان كنكبوش، تر: عبد الرزاق عبيد، دار الحكمة، الجزائر، 2002، ص:83.
(**) ـ م = مفردة. أ = أداة.
(17) ـ لقد ربط علماء العربيّة منذ القديم الفعلَ والجملة الفعليّة بالحركة كما ربطوا الاسم وجملته بالثبات. انظر مثلا: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحـ: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 4، 1995، جـ:1، ص:99.
(18) ـ انظر: دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د. انطوان صياح، ص:154.
(19) ـ انظر: محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ص: 230.
(20) ـ انظر: اللغة العربيّة وآدابها (للسنة الثالثة ثانوي، شعب الرياضيات ـ علوم تجريبية ـ تسيير واقتصاد ـ تقني رياضي)، وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر.
(21) ـ almadapaper.com ، تر: عدوية عدوية.
(22) ـ "روبرت بلاي(Robert Bly) ، ولد في مينيسوتا عام 1936. رأس تحرير مجلة" السبعينات" الأدبية. عاش فترة في النرويج ترجم خلالها مختارات من الشعر والنثر الاسكندنافيين. له "صمت الحقول الثلجية" – 1962 و "الضوء حول الجسد" الذي حاز على جائزة "الكتاب الوطني" عام 1968". والنصّ من موقع: Alimbratur.com ، تر: حمزة عبّود.
(23) ـ الحادي عشر من أيلول (9ـ11) الإرهاب والإرهاب المضاد، نعوم تشومسكي، تر: ريم منصور الأطرش، دار الفكر، دمشق، ط 1 ، 2003، ص:18.
(24) ـ السابق، الصفحة نفسها.
(25) ـ انظر غلاف كتاب: ذهنيّة الإرهاب: لماذا يقاتلون بموتهم، جان بودريار وآخرين، تر: بسّام حجار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، 2003.
(26) ـ انظر: جريدة الشرق الأوسط، 23 يونيو 2007، ع 10434.
(27) ـ اليابان: رؤية جديدة، باتريك سميث، تر: سعد زهران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 268، 2001 ،ص:171.
(28) ـ اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، تر: د.أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 263، 2000 ، ص:106 ـ 107.